هوامش حول الرواية النسائية العربية

> ،، نجت شهرزاد من القتل، وبفضلها نجت بنات جنسها من بطش شهريار لأنها امتلكت ناصية الحكي، كل ليلة حكاية جديدة. عنصر التشويق يقود شهريار إلى الانتظار وحين يؤذن الديك ينتهي فصل من الحكاية، ولما كان الحكي ليلاً كانت ألف ليلة وليلة، فماذا عن شهرزاد اليوم؟

لقد تم استبدال الكتابة بالقول والقلم باللسان، وكلاهما ممتع ومؤلم، ومن ثم أخذ الحكي إطار الرواية وأصبح السؤال الذي يفرض نفسه.

ربيع مفتاح

لماذا تكتب شهرزاد؟ وماذا تكتب؟ وكيف؟
هل تكتب شهرزاد حتى تحول شهريار إلى رجل يعاملها كماتود، وأن يعترف بها فوق حدود الجسد وتضاريس الرغبة وبعيداً عن تاريخ القهر؟
هل هو جموحها في التفوق عليه حتى تهزم المركزية التي يتبناها الرجل؟ ثم ماذا تكتب؟ وما الموضوعات التي تؤرقها؟ وهل اختلفت الموضوعات باختلاف أجيال الكائبات... جيل الريادة والتأسيس والجيل الحالي؟
هل تحولت المكيدة النسائية وصارت حيلاً فنيه بارعة تغلف بها الحكايات؟ بصيغة أخرى هل اقترنت القيم الجمالية بالقيم المعرفية التي تطرحها؟ ماذا وكيف..؟
وقد بدأ التنظير للنقد النسوي مع كتاب الأدبية الإنجليزية فرجينيا وولف »غرفة خاصة« أو »غرفة تخص المرء وحده« كما أن سيمون دي بوفوار »الجنس الآخر« عام ١٩٤٩ اعترضت على هذه المقولة »الموقع الثاني للمرأة اختارته السماء وباركته الأرض«.
لكن التقنين الفعلي للنقد النسوى لم يبدأ إلا في فرنسا عام ١٩٦٨، وقد ارتبط ظهور المصطلح بظهور حركة النقد الحديث: البنيوية وما بعد البنيوية، الحداثة وما بعد الحداثة ورغم ذلك فالكثير من الكاتبات ينزعجن من وصف إبداعهن بأنه أدب نسائي ظنا منهن أنه يقتصر على هموم وعالم المرأة الضيق فقط أو أن المصطلح يتضمن حكما بالهامشية مقابل المركزية التي يتبناها الرجل، ومن الزاوية الأخرى فإن نقادا كثيرين يرون أن هذا المصطلح له حيثياته التي تجعله موجودا:
الإقرار بالندية بين الرجل والمرأة يتضمن إقرار بالاختلاف.
اختلاف الأفكار والمشاعر إزاء ما هو مهم أو غير مهم.
اتسنطاق جانب المسكوت عنه في الثقافة العربية.
الانفصال عن الهيمنة الذكورية للرجل.
واذا كان البعض يرى أن هناك أدباء وكتابا عبروا عن المرأة مثل إحسان عبدالقدوس ونزار قباني وألبرتو مورافيا وغيرهم وعللوا ذلك بإختلاط الهرمونات الذكرية والأنثوية في كل من المرأة والرجل بمعنى لتوجد حالة النقاء الكامل، أي لا يوجد رجل يخلو تماماً من الهرمونات الأنثوية وكذلك لا توجد المرأة الخالصة تماماً من الهرمونات الذكرية.
لكن المرأة حين تكتب لها دوافعها الهامة والملحة ومنها مقاومة خطاب الرجل السائد ومحاولة الإفلات من الثوابت والمحددات التي تعاني منها المرأة، كما أنها تتخذ الكتابة وسيلة لحل تناقضاتها مع الرجل، وهي أيضاً نوع من المقاومة ضد القهر الاجتماعي المتمثل في الأعراف التي تميز بين الذكر والأنثى. الخلاصة أن المرأة تكتب لرعبتها في أن تكون.
ولكن تصدرت الرواية المشهد الثقافي العربي، وقد يعود ذلك إلى أن الرواية فضاء واسع يعطي الحرية بعيداً عن قيود الزمان والمكان، كما أنها ملحمة ذاتيه يستطيع فيها الكاتب تصوير العالم على طريقته الخاصة، من خلال الرواية يستطيع الكاتب أن يعري ذاته كما أنها تستوعب التفاصيل، ويتم تذويت اللغة، أي تصبح اللغة مرادفة لذات الكاتب. الإحصائية تقول إن ٨٠٪مما يترجم إلى اللغات العالمية من الأدب العربي روايات و٨٠٪ من هذه الروايات نسائية، ومن ثم كان للرواية نصيب الأسد من كتابات المرأة.
يرى البعض أن المرأة تلجأ إلى توظيف جسدها في الكتابة، والسؤال: ما المقصود بكتابة الجسد؟
في كتب الميثولوجيا والعهد القديم حكاية عن أسطورة »ليليت« تقول الأسطورة: عندما خلق الله أدم وقبل خلق حوار خلق له أنثى تسمى ليليت.
تعاملت ليليت مع أدم بندية وبدأت تتمرد عليه، فهي التي تمنح الجنس وتسيطر وهي لا تعيش إلا لذاتها ورغباتها ولا تفكر إلا في نفسها، إنها الأنثى فقط وليست الأم: إنها الجسد والشهوة العارمة التي لا تعبأ بأي شيء آخر، ومن ثم لم يتحملها أدم، فكانت حواء التي خلقت إنها المرأة الشهوانية، فهل كتابة الجسد هي عودة ليليت مرة أخرى؟
في ملحمة جلجامش كان إنكيدو يعيش مع الحيوانات حتى مر بمرحلة التحول في حياته وهي اللقاء مع الأنثى كما جاء في هذه الأبيات فأسفرت البغى عن صدرها وكشفت عن عورتها فتمتع بمفاتن جسدها. نضت ثيابها فوقع عليها. وعلمت الوحش الغر فن المرأة فانجذب إليها وتعلق بها. أضحى إنكيدو خائر القوى لا يستطيع أن يعدو كما كان يفعل من قبل، ولكن صار فطنا واسع الحس والفهم.
يبدو أن إنكيدو لم يتحول إلى إنسان إلا بعد معرفته بالمرأة.
وكما يقول بعض النقاد فإن الجسد طبيعي ولابد أن يخضع لتأثير الثقافة.
لابد أن يلتحم الجسد بالجسد الآخر لأن الأخر هو الذي يمنح للجسد تفرده ومن ثم يصبح الجسد الفني غير الجسد الطبيعي لأنه يصبح مسرحاً لتأويلات متعددة، وهنا تصبح المرأة حرة في التوظيف الفني لهذا الجسد. لقد اكتسحت الرواية المشهد الثقافي العربي واكتسحت الرواية النسائية المشهد الروائي وأصبح يوجد في أنحاء العالم العربي كافة كثير من الكتابات على مستوى أكثر من جيل، وتنوعت الموضوعات.
تعددت طرائق السرد، في رواية »حكاية زهرة« للكاتبة اللبنانية حنان الشيخ، فمن خلال قصة فتاة لبنانية جنوبية تفضح الكاتبة الواقع الاجتماعي والسياسي وتعريه، تحكي زهرة عن العلاقة السرية التي تجمع بين أمها وذلك الرجل المجهول، فهي الشاهد الوحيدة على خيانة الأم للأب منذ مرحلة الطفولة، وتعاني أيضا زهرة من قسوة الأب والأخ الفاسد ثم تقع الفتاة في علاقة آثمة مع صديق الأخ ولا يتزوجها لأنه متزوج.
اسم زهرة هنا يرمز إلى الطهارة التي تم تشويهها بفعل هذه الآثام التي جرتها إلى الخطيئة في مجتمع ذكوري لا يرحم.
وفي ثلاثية الروائية الجزائرية المتميزة أحلام مستغانمي »ذاكرة الجسد« و»فوضى الحواس« و»عابر سرير« في رواية ذاكرة الجسد تتماهى المرأة بالوطن ويرتبط العشق بالشهداء الذين يضحون من أجل الوطن في مقابل الذين يبيعون الوطن بأقل سعر في سوق النخاسة، وتصل اللغة في هذه الروايات إلى أعلى درجة من الشاعرية التي وظفتها الكاتبة في خدمة البناء الروائي، كما استطاعت الكاتبة أن تستنطق اللا وعي وتوظف الذاكرة الفردية، أما الأزمنة فإنها تتداخل الماضي في الحاضر وتعدد الأصوات والضمائر لقد حققت أحلام مستغانمي إنجازاً لا يمكن رؤية المشهد الروائي النسائي العربي دونه من خلال رواياته الثلاث.
أصبح التداخل بين فن الرواية وفن السيرة الذاتية كبيراً إلى الدرجة التي أصبح عندها التمييز بينهما أمراً بالغ الصعوبة يظهر ذلك واضحاً في رواية الكاتبة المغربية ليلى والمعنونة بهذا العنوان »ليلى وذئب الحرام« وقصة »زواج بالإكراه« فقد تجرأت على كسر قانون السكوت، هي قصة واحدة من خمسين ألف فتاة يعشن في فرنسا مأساة الزواج بالإكراه تقول ليلى في بداية روايتها التي هي سيرتها الذاتية »أسمى ليلى عمري واحد وعشرون سنة، ولدت في فرنسا مغربية التقاليد، هذه التقاليد لا تزال اليوم ثابتة جداً حولي.. إنه والدي ، ليس هو بالمتدين المتعصب ولا هو شرير سيء النية.. هو رجل محترم وجدير بالاحترام و يضرب ابنته عندما لا تطيعه ،هكذا عمل على تربيتي ودربني على الطاعة والخضوع وهكذا ضربني كي أتزوج الرجل الذي يصعد الدرجات أمامي، تزوجت أمام الإدارة الفرنسية رجلاً لا أعرفه، لم يكن ذلك زواجاً بل كان إجراء جرى بالقوة والإكـراه.. كان بإمكاني أن أهـرب وأنـزل بسرعة على ذلك الدرج وأصرخ طلباً للنجدة لكنني لو فعلت ذلك لما عدت أملك حياتي.. إن فتاة مهذبة في جو هذه التقاليد لا تستطيع ولا تعرف أن تعيش خارج العائلة وحماية الأب الذي كان دوره أن يعطي ابنته إلى حام آخر: الزوج الذي اختاره هو«.
كما تحكي الكاتبة عن ألوان عديدة من القهر عانت منها في مرحلتي الطفولة والمراهقة وكيف كان الأب والأم يميزان في المعاملة بينها وبين الإخوة الذكور، فهي لا بد أن تخدمهم جميعاً وإذا اعترضت فالتهديد والضرب من الأم والأب كما لا يحق لها أن تخرج كما يخرجون، وفي المقابل تحكي الكاتبة عن الفتاة الفرنسية ثم تحاول ليلى الهروب فيكون مصيرها التعذيب والشك في سلوكها وتحاول الانتحار أكثر من مرة ثم يؤول بها الحال إلى أن تتزوج بالإكراه بزوج كل همه أن يحصل على الجنسية الفرنسية بزواجه بها، ثم معاناتها المستمرة من والدة الزوج التي تقيم معها وتحاول أن تهيمن على كل شيء، وبسبب هذا القهر تطلب الطلاق فيقيم الزوج دعوى يتهمها فيها بالزنى وينتهي الوضع بالإنفصال بعد عملية تدمير نفسي واجتماعي للزوجة التي أصبحت أما بعد إنجابها ابنها الوحيد رياض، أما الزوج فقد حقق هدفه بحصوله على الجنسية الفرنسية بعد زواجه بليلى بعام واحد، الأمر الذي جعل السلطات الفرنسية بعد صدور الرواية بصدد تغيير قانون الجنسية وجعل المدة الزمنية لمنح الجنسية بعد الزواج بفرنسية عشر سنوات بدلاً من سنة.
هذه الرواية التي كتبت بالفرنسية وترجمت إلى العربية أثارت ضجة كبيرة في الأوساط الثقافية الفرنسية ومن ثم أصبحت كتابات المرأة قادرة على التأثير والفاعلية، الروائية النسائية في الفترة الراهنة تشهد تحولا كمياً وكيفياً، الأمر الذي أصبح يشكل ظاهرة هامة جداً لا بد من الوقوف عندها ودراستها وهذه القراءة لم تقم برصد الظاهرة في الكتابات النسائية العربية وإنما مجرد هوامش حولها.

المرأة في الفكر العربي الحديث

● يتناول كتاب (المرأة في الفكر العربي الحديث.. قراءة في معارك عصر التنوير) لمؤلفه أحمد محمد سالم القضايا المتعلقة بنهضة المرأة والحجاب والتربية والمساواة مع الرجل؛ ويعتبر الكتاب أنه بالرغم من التقدم الذي شهده وضع المرأة العربية في عصر النهضة إلا أن الفكر الذكوري هو السائد في البلدان العربية.
ينطلق الكاتب من فرضية أن المرأة لا تزال في العالم العربي تعاني من التهميش، وبالرغم من أن عصر النهضة شهد تقدما لأوضاع المرأة، إلا أن النساء العربيات لا يزلن يعانين من الإقصاء لأسباب مختلفة؛ من بينها الاستبداد السياسي وإصرار الرجل العربي على أن يجعل المرأة تابعاً له وليست إنساناً مستقلاً.
كما يشير المؤلف إلى جمود رجال الدين وسيطرة العادات والتقاليد البالية على المجتمعات العربية، ويعرض الكتاب لبعض أفكار أقطاب الحركة النسائية حول سبل الرقي بأوضاع المرأة، حيث اتفقت هذه الآراء على أن رقي المجتمع مرتبط بوضع النساء فيه .
وأن تمكين النساء من حقوقهن سوف ينعكس بالتأكيد على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في هذا المجتمع، حيث يؤكد الكتاب أن هناك إجماعاً بين أغلب توجهات الفكر العربي على ضرورة إصلاح حال المرأة؛ لأن إصلاح حالها من إصلاح حال المجتمع.
والكتاب من خلال ٥ فصول و١٥ مبحثا يتعرض لقضايا نهضة المرأة والحجاب وتربية المرأة وتعليمها وحقوق المرأة والمساواة بين الرجل والمرأة والقضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية والطلاق.
وعند الحديث عن وضعية المرأة في المجتمع العربي، يعتبر المؤلف أن التوجهات السلفية التي تتزايد في المجتمعات العربية تكرس من تدني وضع المرأة في مجتمعها، حيث يؤكد أصحاب الأفكار السلفية أن وظيفة المرأة في الحياة هي خدمة زوجها، وأن المرأة هي كائن تابع للرجل ولا يمكن أن يكون إنسانا مستقلا.
كما يعرض المؤلف للاتفاق بين الأفكار السلفية والعادات والتقاليد في المجتمع العربي البدوي، وهو الاتفاق الذي جعل المرأة العربية مستعبدة أو في أفضل الأحوال من أدوات الزينة والمتعة وليست إنسانا له شخصيته وكرامته الإنسانية، ولذلك نتجت عند العرب عادات مثل التسري وتعدد الزوجات وهي عادات تحولت إلى قواعد اجتماعية ودينية لا يمكن الفكاك منها.
ويعترف المؤلف بأن هذه القضية من القضايا الشائكة جداً والتي قامت بسببها معارك فكرية، خاصة أن شيوخ السلفية ربطوا بين الحجاب وبين العفة، في حين أن المنادين بحرية المرأة ركزوا على فكرة الحشمة واعتبروا أن الضامن الوحيد للعفة هو ممارسة الحرية وعدم قمع المرأة بإخفائها وكأنها عورة وعار لا يجوز ظهوره في المجتمع.
ومن القضايا الأساسية التي يعتبرها الكتاب مرتبطة بوضع المرأة العربية ونهضتها هو ما يتعلق بتربية المرأة وتعليمها، حيث عول جميع المفكرين الإصلاحيين على أهمية التعليم لتحرير عقل المرأة من الخرافة ومن الجهل، إلا أن الاختلاف كان في نوعية التعليم الذي يُسمح به للمرأة، حيث أصر السلفيون على أن المرأة لا تحتاج سوى لتعليم ديني فقط وفي أحسن الحالات التعليم المرتبط بالمهام المنزلية وتربية الأطفال.
بينما أصر الفريق الذي يدعو لتحرير المرأة على أن النساء شقائق الرجال وأن من حق المرأة أن تنال التعليم الذي ترغب فيه وتجد نفسها قادرة على تحقيق ذاتها من خلاله.
ويعرض المؤلف إلى الأزمة التي لازمت حتى المفكرين الذين دعوا لتعليم المرأة مثل رفاعة رافع الطهطاوي، حيث اعتبر هؤلاء أن الطبيعة البيولوجية للمرأة تمنعها من الحصول على حقوق متساوية مثل الرجال، حيث اعتبر رفاعة الطهطاوي وغيره أن المرأة مخلوق ضعيف لا يصلح للوظائف العامة ولا الإمامة ولا القضاء ولا العمل في المناصب التي تضطرهن لمخالطة الرجال؛ لأنها عورة لا يجوز أن تظهر أمام الناس.
وهو ما انعكس على الفكرة التي كرست وضع المرأة على الدوام في ذهنية معظم المفكرين العرب حتى الإصلاحيين منهم من أن المرأة يجب دائما أن تخضع لقوامة الرجل الذي يحميها ويجري على إعاشتها وحمايتها، بل إن غاية ما وصل له الطهطاوي -وهو المفكر الإصلاحي الأشهر في القرن التاسع عشر- هو أن المرأة من حقها الخروج من بيت زوجها للصلاة ولزيارة أهلها.
أما فيما يتعلق بالطلاق، فإن الكتاب يتعرض لمسألة جعل الطلاق حقا مطلقا للرجل لا يراجع فيه، مشيراً إلى الرأي الذي ذهبت إليه درية شفيق عندما اعتبرت أن الطلاق الرجعي يجعل من المرأة سلعة يشتريها الرجل في سوق الرضا ويبعها في سوق الغضب -على حد قولها.

خالد لحمدي

روعة اللحن ولذة المقام

حين تقرأ قصائده تتلبسك كثيرا من النشوة وتبقى مشتعلة في داخلك الى مالانهاية ..
وتعيش تتغنّى بألحان تخطو على حوافها أرق المعاني وأصدق الجمل اللحنية .
تحتضن الشوق وصورا أكثر سحرا وعشقا لايضاهى .
رحل بصمت وارواحنا تتشهي بعده روعة اللحن ورقة الكلمة المنبعثة من قلب ضاج بالحب الصادق المعطاء .
تركنا نتأمل رؤاه بجنون ودهشة ، بحثا عن صوت يدفئنا في زحمة الأصوات المتدفقة برودا .
نسترجع بشوق ماتركته روحه ، ونقبض بتباهي على روائعه التي لازالت تملؤنا حبا وسحرا لاينتهي .
أيدري أن العشاق قد تركوا أشياءهم على ضفاف نهره .. وقد افضى بهم العشق إلى متاهات عذبة ومسالك أكثر لوعة وأرتقاء .
حين قال بتأمل ودهشة :
ياالذيك المناظر ..
منظر الغيد لي يرتاح لـه كل خاطر
روح العاشـق الشاعـر رقيق المشاعـر
يفرح الزين قلبي لانظرته إلـى الزين
عانك الله ياالعاشق علـى قسوة البين
... ...
رافعات الشيازر ..
روحن فوق جول الديس ملقات عاكر
مثل لظبا دقيقات الخصور الضوامـر
ريتنا كون معهن في سمر حيث يضوين
عانك الله ياالعاشق علـى قسوة البين
.... (١)
لقد وضع المفلحي لهذه الأغنية لحن رائعا .. حلّق بنا من خلاله نحو فضاءات أكثر عمقا .. وذلك حين استخدم مقام (الحجاز) وهو من المقامات الموسيقية المعروفة بالعذوبة والشجن .
هو يدرك جيدا أن عشاقه لازالوا ممتلئين به وبروائعه التي مازال يرددها العاشقون وهم مبتسمون .. متجاوزين آلامهم طربا وغناء ..
رحم الله الشاعر صالح عبدالرحمن المفلحي ذا القلب المرهف ، الذي زرع بأغنياته الحياة فينا بعد عطش وظمأ شديدين ..
لذلك ...
نستحضره كلما هفت أنفسنا لأجمل الكلمات وأروع المعاني وأعذب الجمل .

خواطر في أنغام .. ديوان شعر ..للشاعر المفلحي .

شمسان التويتي

(على رفوف الذاكرة)

الشائعات على الطريق
أشواك من عبروا البداية
فقأوا بكارتها...
ومروا فاتحين
هاأنت وحدك لا عليك
ليس إلا الرهبة الأولى
وقع خفيف..
كارتطام فقاعة في البئر
ويتسع الجليد
كم بت في فلك الغياب
تقارع المعنى
فتخضر القصائد في يديك
تمتطي صهوة البرق
بلا سرج
لكي تمسي سراجا»
لحجاج أتوا من بيت كاعبة
أناخوا حبر مهجتهم
على رفوف الذاكرة
أسماء بلا وجوه
وجوه بلا أسماء
ها أنت وحدك من جديد
لا حبيب سوف يهطل في ذراعيك
ولا فرس لديك
لاشي إلا فرح أيامك الأولى
التي سبقت رؤاك
ودموعك الأولى
وقد ردت إليك.